آل نوبَخت

عباس إقبال آشتياني

نقله الى العربيّة

علي هاشم الأسديّ

www.ketab.ir

إقبال آشتياني، عباس، ١٢٧٥ - ١٣٣٤.
آل نوبخت / عباس إقبال آشتياني؛ نقله الى العربية علي هاشم الأسدي.ـــ
مشهد: مجمع البحوث الاسلامية، ١٤٢٥.
٢٨٨ ص. ISBN 964-444-679-8
فهرستنويسي بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان اصلي: خاندان نوبختي.
عربي.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. نوبختيان (خاندان) ٢.شيعه -- سرگذشتنامه. الف.اسدي، علي، ١٣٣٦ -
ـــ ، مترجم. ب.بنياد پژوهشهاى اسلامى. ج.عنوان.
٧٠٤٣ الف ٣ آ / CS ١٤١٩ ٩٢٩/٢٠٩٥٥
كتابخانه ملّى ايران ٢٧٨١ ـ ٨٣م

www.ketab.ir

آل نوبخت

عباس إقبال آشتياني
نقله الى العربية: علي هاشم الأسدي
المراجعة: علي البصري
الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ١٣٨٣ ش
١٥٠٠ نسخة
الثمن: ١٨٠٠٠ ريال
الطباعة: مؤسّسة الطبع و النشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مراكز التوزيع
مجمع البحوث الإسلاميّة، الهاتف والفاكس (مشهد) ٢٢٣٠٨٠٣، ص. ب ٣٦٦ ـ ٩١٧٣٥
شركة بەنشر، (مشهد) الهاتف ٧ ـ ٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠
Web Site: www.islamic-rf.org E-mail: info@islamic-rf.org

مقدّمة المترجم

بسم الله الرحمٰن الرحيم و الصلاة و السلام على سيّد الأنبياء و المرسلين محمّد و علىٰ أهل بيته المطهّرين و صحبه الصالحين.

الحضارة الإسلاميّة صنيعة الأُمّة الإسلاميّة جمعاء، فقد ساهم في تشييد صرحها العرب و الفُرس و الترك و الكرد و غيرهم من الشعوب المسلمة ـ و لكلٍّ قسطه فيها قلّ أم كثر ـ معتمدين كتابَ الله سبحانه و سنّةَ نبيّه ﷺ و أئمّة الدين والسلف الصالح من الصحابة و التابعين و العلماء إذ تمثّل المصادر الأصليّة للحضارة الإسلاميّة، و عامدين إلىٰ إعمار الحياة ورفد البشريّة بما يصلحها و يُسعدها. و هذه الحضارة الثريّة التي عبّر عنها جواهر لال نهرو أنّها أمّ الحضارات في العالم، آية علىٰ عظمة الإسلام و مزاياه الرفيعة. و لا مراء في أنّها مثابة لحضارات الأُمم، و النبع الأوّل الذي اغترف منه المنتمون إلىٰ غيرها فارتقوا بفضلها.

وتمتاز هذه الحضارة بأنّها حضارة قيميّة تقطر أدباً و نبلاً و تقف زاهيةً شامخةً بطهر مفرداتها من كلّ الشوائب الجاهليّة، و علوّ مظاهرها التي حكاها لنا التاريخ. فهي ـ حقّاً ـ في مقابل الحضارة الجاهليّة التي تتعدّد سبلها، فحريّ بكلّ طالب علم أن يوفّيها حقّها من خلال تبنّيها عمليّاً، و تزكيتها من مدانس القوميّة و العِرقيّة و القطريّة وما ماثلها، و الوقوف بوجه من يريد امتهانها أو الإزراء بها أو الطعن فيها و تحجيمها وتحديدها و استبدال غيرها بها. فلا بدّ من رعايتها واتّخاذها المثل الأعلىٰ في الحياة و فاءاً للعقيدة التي أنجبتها و النظام الذي أرسىٰ دعائمها، و عرفاناً لجميلها.

www.ketab.ir

ومظاهرها جمّة بشمائلها و عطاءاتها إذ إنّها مجموعة كريمة من الأفكار و المفاهيم والقيم الإنسانيّة، أو التصرّفات السليمة و الممارسات الحكيمة في التعامل مع الحياة.

وكانت البيوتات العلميّة لَبِنَةً من لبنات هذه الحضارة العظيمة علىٰ مرّ التاريخ بفضل ما قدّمته من عطاءات علميّة. و من هذه البيوتات آل نوبخت الذين كان لهم قسطهم المشهود في إغناء الحضارة الإسلاميّة من خلال إلمامهم بعلم النجوم و علم الكلام و تعريب الكتب الفارسيّة المهمّة. و ساعدتهم الظروف السياسيّة والاجتماعيّة علىٰ ذلك. فقد كان جدّهم الأعلىٰ (نَوْبَخْتْ) (أي جديد الحظّ أو سعيد الحظّ) في بلاط المنصور العبّاسيّ منجّماً، وكذلك نجله أبو سهل الذي تولّىٰ تعريب عدد من الكتب الفارسيّة. و الأجواء الاجتماعيّة السائدة آنذاك متأثّرة بالجوّ السياسيّ المتمثّل بسيادة العبّاسيّين و سطوتهم لذلك تمهّدت لهم، و مدحهم شعراء البلاط العبّاسيّ. وكان رجالهم الأُوَل ذوي ميول عبّاسيّة. ثمّ تعبّد أحفادهم بمذهب أهل البيت عليهم السلام. و أشهرهم أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ الذي كان من أكابر علماء الشيعة و متكلّميها في عصر الغيبة الصغرىٰ و له فضله الذائع. و منهم أبو إسحاق إبراهيم مؤلّف كتاب (الياقوت) في أصول علم الكلام، و هو الكتاب الذي شرحه العلّامة الحلّيّ باسم (أنوار الملكوت في شرح الياقوت).

أمّا الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النائب أو السفير الثالث للإمام المهديّ عليه السلام في الغيبة الصغرىٰ، فقد ذهب مؤلّف هذا الكتاب ـ على تعصّبه العِرقيّ ـ إلىٰ أنّه كان منتسباً إلىٰ آل نوبخت من جهة الأمّ، و مثله أبو محمّد الحسن بن موسىٰ صاحب الكتاب المشهور (فرق الشيعة). و يتبيّن ذلك من الفصل السابع من الكتاب الذي خصّصه للأخير إذ رأىٰ فيه «أنّ أبا محمّد الحسن بن موسىٰ مؤلّف كتاب (فرق الشيعة) و غيرها من الكتب هو كالشيخ أبي القاسم الحسين بن روح كان ينتسب إلى آل نوبخت من جهة الأمّ فحسب. و لم يذكر أحد شيئاً عن انتسابه إليهم من جهة

www.ketab.ir

الأب حتّىٰ لو فُرض أنّ أباه كان من أفراد الأُسرة». و هذه النقطة من النقاط المسترعية النظر في الكتاب، و إذا دلّت علىٰ شيء فإنّما تدلّ علىٰ تحرّي المؤلّف و أمانته. كما تدلّ علىٰ أنّ بعض الألقاب لا يدلّ علىٰ الانحدار القوميّ، و أنّ بعضها الآخر فيه تسامح، و أنّ قسماً منها ذاتيّ الإطلاق، أي أنّ أصحابها اتّخذوها لأنفسهم من منطلق ذاتيّ لا غيره، و قسماً قد لا يصحّ علىٰ شهرته و ذيوعه، فلا يُعوَّل عليه معياراً لمعرفة الهويّة. و يُستشفّ من هذه النقطة أيضاً إنّنا ينبغي أن نتثبّت في الحكم علىٰ الأشياء، و نتروّىٰ عند الحوار. و يتبيّن كذلك أن اللقب مقياس غير سديد في فصل الأمور، كما أنّه ليس ذا بالٍ في لغة العلم و العقل. و يستبين من النقطة المذكورة صحّة ما قيل: «ربّ مشهور ليس له حضور».

علماً أنّ اللقب ليس معلماً علىٰ الكفاءة. كما أنّ من المظاهر الحضاريّة في الإسلام اعتناؤه بنيّة الانسان و عمله لا بلقبه و نسبه. فالاهتمام بالألقاب مظهر غير حضاريّ فيه. و الحقّ أنّنا بحاجة إلى الألباب لا إلىٰ الألقاب و الأنساب و أحسن من قال: «الألبابَ الألباب لا الأنساب و الألقاب». بيد أنّ اللقب أو النسب القبليّ أو القوميّ إذا كان لمعرفة النسب فحسب، فلا قدح فيه؛ أمّا إذا كان للتفاخر و الشعور بالاستعلاء العرقيّ فهو مردود ممقوت. و أنّ عظمة البيوتات العلميّة ليست في عطائها العلميّ مجرّداً، بل في عطائها الذي لا يشوبه المنّ و الاستعلاء، و لا تكدّره نزوات حبّ الظهور و الجاه و الإطراء. بل في عطائها المشروط بألّا تذهب بها سمعتها شَطَطاً!

و حريّ بالذكر أنّ كثيراً من العرب الذين هاجروا إلىٰ إيران تلقّبوا بالمدائن الفارسيّة التي سكنوها و هم من أُصول عربيّة فلم يروا في ذلك بأساً عليهم، كما أنّ تلك المدائن احتضنتهم و اعتزّت بهم. فلا دليل لأحد علىٰ اعتبار اللقب و لا برهان له علىٰ القياس به. إنّما المؤسف حقّاً أن نتنازع و نتناحر حول هويّة العلماء و انتمائهم القوميّ و هم مسلمون، فإسلامهم يدفع ذلك التنازع و التناحر المزعومَين. و أنّه من

www.ketab.ir

مساوئنا نحن المسلمين الاهتمام بشيءٍ لم يُرده ديننا منّا. والمحقّق أنّ تحضّرنا يكمن في تحكيم ديننا واتّخاذه المقياس الأعلىٰ في كلّ مجال من مجالات حياتنا. بل إنّ تحضّرنا في التمسّك بحضارة ديننا. ولنا أن نفخر بآل نوبخت وأمثالهم من العلماء أنّهم كانوا مسلمين. وهذا ما أراده منّا ربّنا سبحانه في كتابه الكريم ونبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في سنّته الهادية الرشيدة. ولنتذكّر دائماً أنّ قرآننا الحكيم لا يعترف بالأنساب ويذكّرنا أنّها لا تُجدي ولا تُغني يوم يُنفخ في الصور! فما لنا نتساءل عمّا لا يُسأل منّا؟ وما بالنا نهتمّ بغُثاءٍ ليس ذي غَناءٍ؟ ﴿فإذا نُفخ في الصور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ (المؤمنون: ١٠١).

أمّا هذا الكتاب فإنّ عنوانه يدلّ عليه. فهو كتاب رجاليّ تاريخيّ تناول رجال الأُسرة النوبختيّة ومن انتسب إليها ممّن تلقّب بهذا اللقب. كما ساق مؤلّفه الكلام عن علم الكلام ورجاله الأُوَل، وذكر بعض الفرق الإسلاميّة كالمعتزلة، وتحدّث عن الإمامة والإماميّة ومتكلّميهم الأوّلين. وأطال الحديث عن بعض رجال الأُسرة النوبختيّة وأوجز عن بعضهم الآخر. كما أورد المشهورين منهم وغير المشهورين. ويُحمَد للمؤلّف جهده في البحث والتحقيق ويُلام علىٰ ما بدر منه في بعض الطريق. وفي الكتاب آراء صائبة وأُخرىٰ قد تجانب الصواب. ولات وقت نقدٍ فيُساغ نقده. ومؤلّفه محقّق ومؤرّخ إيرانيّ ولد سنة ١٣١٤هـ وتوفّي في روما سنة ١٣٧٥هـ عندما كان مندوباً لإيران هناك. وكان أُستاذاً جامعيّاً وعضواً في مجمع اللغة الفارسيّة بطهران. وأسّس مجلّة «يادگار» (التذكار) سنة ١٣٦٥هـ، وله كتب مصنّفة ومصحّحة ومترجَمة منها: تاريخ المغول، و«وزراء السلاجقة»، وهذا الكتاب.

وفُرغ من تعريب الكتاب في مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة في مشهد، وهو مركز علميّ بحثيّ يُعنىٰ بتصنيف الكتب وتصحيحها وترجمتها، ثمّ طبعها ونشرها، ودعا إلىٰ تعريب الكتاب عنوانُه الذي يدلّ علىٰ بيتٍ علميّ له نصيبه في إثراء الحضارة الإسلاميّة. أمّا محتواه فكنت غير عليمٍ به والحكم

www.ketab.ir

للقارئ الكريم. وكان الفراغ منه قبل بضع سنين، لكنّ مراجعته طالت لسببٍ قالَ المراجع إنّه كثرة الأشغال. وكانت هناك رغبة عن كتابة مقدّمة على التعريب لعللٍ لا حاجة إلى ذكرها. ثمّ بدا لمن رغب عن ذلك أن يكتب شيئاً يرتبط بعنوان الكتاب نوعاً ما، و ينبّه على أُمور يحسن الالتفات إليها. وكان الاكتفاء بما عُرض في هذه المقدّمة مراعاةً لعنوان الكتاب فحسب، و إلّا فقد تكون نقاط أُخرى بشأن الكتاب لا تستحضَر في هذه العجالة.

و ختام القول ـ و هو الحقّ ـ إنّ أعمال البشر حليفها النقص إلّا ما عصم الله سبحانه منها. ﴿فلولا فضل الله عليكم و رحمته لكنتم من الخاسرين﴾ «البقرة: ٦٤». و للشافعيّ بيتان يُركن إليهما. و حريّ بكلّ ذي علم و فضل و عقل أن يجعلهما نصب عينيه قال:

كلّما أدّبني الدهر ... أراني ضعفَ عقلي

و إذا ما ازددتُ علماً ... زادني علماً بجهلي

و الحمد لله ربّ العالمين. و سلام على أُولي العلم من عباده الصالحين.

المترجم

ربيع الآخر ١٤٢٥هـ

www.ketab.ir

المقدّمة

لا مراء في أنّ تاريخ الأديان و المذاهب، و أحوال الملل و النحل، و شرح الآراء و المقالات التي تبنّتها الفرق الدينيّة من أعذب المباحث التاريخيّة. و هذه كانت عرضة للتغيير و التبديل على مرّ القرون المتواترة، كغيرها من شؤون الحياة الأدبيّة و الاجتماعيّة. و منها ما ارتقى في سُلّم الكمال وفقاً لمتطلّبات تاريخيّة، و منها ما ذوىٰ بسبب بعض العوادي الكاسحة.

و يقال ـ تساهلاً ـ إنّ العقائد الدينيّة للإنسان وليدة الخوف و الرجاء، و جاء اختيار الإنسان لتلك العقائد، سواء كان مقلّداً فيها أم مكرهاً عليها، للحؤول دون طغيان الخوف أو لتوطيد حسّ الرجاء في الحياة.

و إذا كان هذا الكلام صائباً تماماً أو أنّه بدا ناقصاً و ممترىً فيه لأسبابٍ ما، فالثّابت هو أنّه كانت للإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ حاجة كبيرة أُخرىٰ أيضاً إلىٰ جانب حاجاته الماديّة الضروريّة، و لا تقلّ استجابته لها عن الاستجابة لحاجاته الأُخرىٰ كإعداد الطعام و السّكَن و اللّباس و وسائل الدفاع عن نفسه. بعبارة أُخرى، كما كانت حياة الإنسان في خطر بسبب كوارث بيئته الطبيعيّة السكَنيّة، و تهديدات الكائنات الحيّة، التي عليه أن يبذل قصارى جهوده لمقارعتها، و إيصاد الطريق أمام تهديداتها. فإنّ حسّاسيّته و فكره العاجز و تلمّسه للحلول، كلّ ذلك كان قد مُني بالاضطراب و الوهم أمام قوى الطبيعة الملغزة الّتي أحدقت به من كلّ جانب، مضافاً

www.ketab.ir

إلىٰ تصوّره للموت و جهله بعالم الغيب، و هو كما يدافع عن جسمه وفقاً للوسائل و التّدابير اللازمة، فإنّ عليه أن ينقذ روحه ـ طوعاً أم كرها ـ من حالة القلق و الاضطراب بتدابير يتّخذها لنفسه، و يستبدل الهدوء و فراغ البال باضطراب الفكر الناتج من التغيّرات المتوالية و آثار الطبيعة المجهولة و الخوف من الموت و التفكير بما يخبّئه المستقبل، و ليس أمامه إلّا أن يسخّر ما يبعث علىٰ خوفه و تغيّر أحواله النّفسيّة و يجعل ذلك طوع أمره و إرادته، أو يتنازل مذعناً أمام القوى المتحكّمة و يعدّ نفسه خادماً مطيعاً لها. أي: إمّا أن يمزّق حجاب أسرار العالم المجهول من خلال توظيف الفكر و اختدام الذكاء والذوق الفطريّ، في ضوء ما يحمله من حسّ التنقيب و التدقيق و التحقيق الذي يتّصف به أُولو النظر البعيد، فيسخّر الطبيعة في خدمته، و يخفّف بلبلة باله ما أمكنه عبر تشخيص الأسباب الحقيقيّة لآثاره، و إمّا أن يَضرِب عن التحقيق و الطلب صفحاً، و يغرق في بحر الوهم، و يتلمّس لكلّ مجهول خارجي علّة من عنده يُقنع بها نفسه، و يبني له سدّاً ـ ممّا تمليه عليه قواه الوهميّة ـ يحول بينه و بين اضطراب فكره ليجلس في مأمنه سعيداً رخيّ البال. و في مفرق هذين الطريقين يعرف حجم اللياقة الفكريّة و درجة الذكاء و الذوق عند شتّى الأشخاص أو الجماعات، و يبرز الفرق بينهم في درجات رقيّهم المادّي و المعنويّ. و في هذا المقام يسير روّاد طريق البحث قُدُماً، و هم الباحثون في جواهر المعارف و الحقائق. و يَدَعون المتنسّكين المقلّدين أسرى في زوايا زهوهم. و لا يصدّهم شيء عن البحث، و يبذلون قصارى جهودهم للوقوف علىٰ أسرار الخلق أكثر من الغابرين، و من ثمّ يخفّفون عن ظهورهم و ظهور غيرهم عبء المعاناة.

إنّ كلّ شخص أو قوم ممّن اتّصف بالدهاء و الكفاءة قد اجتاز ـ طوعاً أم كرهاً ـ هذه المرحلة الثانية التي ينبغي أن تُسمّى المرحلة الدينيّة. و طوَوا هذا المقام قبل أن يزعموا أنّهم حلّوا ألغاز الطبيعة، و وجدوا الحقيقة، و خطَوا في المرحلة العقلانيّة و المنطقيّة، حتّى أنّ الذين أرادوا ـ من بين هذه الجماعة ـ أن يقطعوا علاقاتهم بأفكار

www.ketab.ir

الماضي، و لا ينشغلوا إلّا بما يمليه العقل و مبادئ المنطق الثابتة أقرّوا بعجزهم حيال الطبيعة اللّامتناهية و آثارها المجهولة التي لا تحصى، و رأوا أنّ المعلومات العلميّة ليس لها شأن و لا تصمد أمام بحر المجهولات اللّامتناهي، و أذعنوا ـ في غاية الإنصاف ـ أنّه على الرغم من وجوب البحث عن الحقيقة، فمازلنا نحتاج الىٰ وقت طويل كي تستضيء عيوننا برؤية جمال الحقّ كما ينبغي، و نتخلّص من معاناة الضمير و اضطراب البال، و نظفر بالسعادة الأبدية من خلال الوصول إلىٰ حجرات القدس.

و في ضوء هذه المقدّمة، ما دامت هذه السعادة لا تتيسّر بواسطة العلم و العقل، و كانت قابليّات الناس متباينة في إدراك الحقائق، فإنّ المرحلة الدينيّة في طيّ طريق الحياة و تحمّل شدائدها و مصائبها من أسلم المراحل للاستمتاع برخاء البال و السعادة، بخاصّة للأشخاص أو الجماعات الّتي لا تتطلّب قواها الذهنيّة و النفسيّة في الوقت الحاضر طريقة فكر و حسّ آخرَين، و ترى أنّ سعادتها لا تتحقّق إلّا في هذا المجال.

وكان الأنبياء و المصلحون الدينيّون يَخبُرون الناس الذين يبلّغون في أوساطهم، و يعرفون قابليّاتهم أفضل من غيرهم، لذلك توجّهوا إليهم بقلوب طافحة بالإيمان و عزائم حافلة بالحماسة، و تعاملوا معهم بالأُسلوب الذي ألفوه، فركزوا في نفوسهم الفضائل و التّفكير بمصلحة الآخرين و حبّ الخير لهم، و قطعوا دابر الرذائل التي تسبّب بؤسهم و شقاءهم، و ذلك بالحكمة و التدبير.

وكانت تنهض في مقابل هذه الشريحة الخيّرة دائماً فئة إمّا تزعم أنّها صاحبة القيادة و أنّها تريد أن تهدي الناس إلى سبيل الحقائق و المعارف، أو أنّها ترفع عقيرتها بمناوءة الأديان من خلال الاستظهار بحفنة من المعلومات الناقصة أو المغرضة، و لمّا كان هؤلاء لا يتمتّعون بالإيمان الذي يستلزمه طيّ هذا الطريق، فإنّهم لم يفلحوا، بل دمّروا سعادة السواد الأعظم من الناس، و هم كالسلّابين

www.ketab.ir

النشّالين قد خدعوا فريقاً من الناس المتّسمين ببراءة الضمير و صفاء الباطن و الإيمان القلبيّ الصادق، الذين عقدوا الأمل على عقائد آمنوا بها، خدعوهم تحت عنوان: رفقاء الدرب، فسلبوا أزوادهم و أمتعتهم أوّلاً، ثمّ تركوهم في حضيض البؤس و المسكنة و القنوط.

إنّ تاريخ الأديان و المذاهب، من منظارٍ ما، هو شرح لصفاء ضمير جماعة من الناس، و إيمانها القلبيّ، و عرض لِلصوصيّة جماعة أُخرى و مكرها و احتيالها، و لمّا كان الاصطدام بين هاتين الشريحتين من الناس و مناظراتهما و محاججاتهما باعثاً علىٰ ظهور شتّى الآراء و العقائد و الأهواء و النّحل من أوطئها إلى أعلاها درجة، فإنّ هذا القسم من التاريخ كالبستان الذي تجد فيه أنواعاً متفاوتة من الأعشاب و النباتات، بدءاً بالبرسيم الطبيعيّ و انتهاءاً بأجمل الأزهار و أشذاها، علماً أنّنا نستنبط من خلال الاطّلاع عليه أنّ فسيل كثيرٍ من الأفكار و الآراء الدينيّة و السياسيّة و الذوقيّة لأُناس عصرنا قد غُرس في هذا البستان من قبل الأسلاف وكانت تلك الفسائل تنمو و تنضج حيناً، و تذبل حيناً آخر علىٰ تواتر القرون التي مرّت على البستان المذكور، متحمّلة الأجواء غير المساعدة.

يبدو أنّ المسلمين كانوا أوّل أُمّة بين الأُمم القديمة اهتمّوا بتدوين الكتب في تاريخ الأديان و المذاهب و الفرق الدّينيّة، إذ إنّ اليونانيّين لمّا كانوا قد فصلوا في دراساتهم قضايا الحكمة عن الدين فصلاً تامّاً، وكان مذهبهم خالياً من الجانب الأخلاقيّ و الحِكَميّ، فإنّ الكتب التي صنّفوها في عقائد أسلافهم اتّخذت في الغالب طابع البحث في تاريخ الحكمة و الحكماء. أمّا كتب النصارىٰ فقلّما اتّسمت ببعدٍ عامّ. و هي في حكم نقض آراء أهل البدعة أو مخالفيهم غالباً.

وكان متكلّمو المعتزلة أوّل من بدأ من المسلمين في تصنيف هذا الضرب من الكتب تحت عنوان «المقالات»، أو «الآراء و الديانات»، أو «الملل و النحل». و لعلّهم صنّفوها لمعرفتهم بفلسفة اليونان و سيرة حكمائهم و آرائهم، فقلّدوهم في

www.ketab.ir

الكتب التي كانت لهم في شرح مقالات الحكماء و المذاهب المتنوّعة .

و حذت سائر الفرق الإسلاميّة حذو المعتزلة في القيام بذلك العمل فصنّف علماء الشيعة ، و الخوارج ، و السنّة ، و الأشاعرة ، و الكرّاميّة ، و الصوفيّة كتباً عديدة في باب المقالات و الملل و النحل ، هادفين من وراء ذلك إلىٰ دحض الآراء التي تتبنّاها سائر الفرق ، و إثبات كلامهم «الحقّ»؛ إذ يَخالون أنّ فرقتهم هي الفرقة الناجية فحسب . و كانوا يذكرون آراء الحكماء و الأُمم غير الإسلاميّة في كتبهم لهذا الهدف .

و من البيّن أنّ التعصّب الدينيّ هو الذي يُرخي العنان للقلم في هذا الضرب من تقرير الموضوعات ، فيتقوّل المصنّفون في كتب المقالات علىٰ مخالفيهم و يقذفونهم بشتّى التُّهم . و قلمّا يُلحظ هذا التوجّه في كتب المعتزلة الذين كانوا من أُولي الاستدلال العقليّ غالباً . بَيْد أنّه يلمس أكثر عند السنّة ، و متكلّمي الظاهريّة ، و متأخّري الأشاعرة و الإماميّة الذين سلكوا هذا السبيل من منطلق التعصّب . و هذا ما أدّىٰ الىٰ خفاء كثير من الحقائق التاريخيّة بسبب الأغراض الشخصيّة . بخاصّة أنّ المتعصّبين مذهبيّاً كانوا يخفون الحقائق و يُدلّسون و يزوّرون خدمة لمذهبهم و يحسبون ذلك خدمة للإيمان ، و لم يتورّعوا عن ارتكاب أيّ ضرب من ضروب الجناية التاريخيّة أو الأدبيّة . و عندما كانوا ينقلون كلام المخالفين ، لم يستهدفوا إلّا التشنيع عليهم أو قلب الصورة الحقيقيّة لمقالاتهم و تأويلها . من هذا المنطلق قلّما تسعفنا هذه الكتب بمعرفة الهدف الأساس لرؤساء الفرق الإسلاميّة المختلفة و حوافزهم الباطنيّة و تمييز المؤمنين الخُلّص من المحتالين ، و الاطّلاع على المقالات الحقيقيّة لكلٍّ منها[1] .

***

و هذا الكتاب الذي أُقدّمه إلىٰ القرّاء الكرام ، بعد فترة من البحث و التحقيق ،

١ـ وردت بعد هذا الكلام فقرات للمؤلّف لم يُنصح بترجمتها لما فيها من رائحةٍ حَمِيّةٍ لا تُحمَد.

www.ketab.ir

يتناول ترجمةً لأُسرة من الأُسَر الفارسيّة الأصيلة التي سَعَت بصدقٍ في سبيل التوفيق بين الآراء الفارسيّة الخاصّة و مذهب التشيّع و بذلت قصارىٰ جهودها في تنزيه ساحة هذا المذهب من التهم التي ألصقتها به سائر الفرق. و استطاعت أن تجعل الشيعة أصحاب شوكة و اقتدار و اسم و اعتبار من خلال اختيار مبادئ الاعتزال، و ردّ الاعتقاد بالتشبيه و التجسيم و الرؤية في باب التوحيد، و إدخال الإمامة في المباحث الكلاميّة، و الدفاع عن موضوع الغيبة، و الحؤول دون أصحاب البدعة في هذا الدين، و تقوية المجتمع الشيعيّ في مقابل قدرة السلاطين و العنصر التركيّ المتعصّب و أصحاب الحديث و السنّة.

***

و عندما كنتُ أُواصل دراستي في دار الفنون بباريس قبل سبع سنين، كان تاريخ الأديان و المذاهب أحد الموضوعات التي اخترتُها للحصول علىٰ شهادة الليسانس في الأدب. و لمّا كان علىٰ الطالب في هذه المرحلة أن يكتب رسالة في موضوع معيّن للحصول على الشهادة المذكورة، اخترتُ «ترجمة آل نوبخت» بإشارة العلّامة الجليل فضيلة الميرزا محمّد خان القزوينيّ. وكتبتُ رسالة موجزة في هذا المجال باللغة الفرنسيّة و حزتُ علىٰ الشّهادة المذكورة. و لمّا وقفتُ علىٰ أهمّيّة الموضوع تدريجاً خلال إعدادي للرّسالة، لم أدّخر وسعاً في إتمامها. و صرفتُ مدّة من عمري علىٰ هذا العمل حتّى تهيّأت هذه الرسالة المزجاة.

و عندما سافرتُ إلىٰ فرنسا في العام الماضي حثّني صديقي العلّامة الأستاذ ما سينيون ـ أحد مشاهير المستشرقين الفرنسيّين المدرّس في «كولج دو فرانس»، و مدير مجلّة «دراسات حول الإسلام» ـ على أن أكتب هذه الرسالة بالفرنسيّة ليطبعها في مجلّته. فقمتُ بقسم من هذا العمل في باريس، و عندما عدتُ إلىٰ إيران طبعتُ نصّها الفارسيّ بتشجيع بعض الأصدقاء الكرام، و أنجزتُ ترجمتها الفرنسيّة أيضاً و أعددتها للطّبع.

www.ketab.ir

من الطبيعيّ أنّ هذه الرسالة ناقصة و موضوعها مهمّ يستحقّ دراسة و اهتماماً أكثر. و لكن يؤسفني أنّي لا أستطيع استقصاءه بهذه السرعة لضيق الوقت، و عدم حصولي علىٰ جميع المخطوطات المتعلّقة بهذا المبحث. أرجو من أُولي الفضل و الأدب أن ينظروا إلىٰ هذا الكتاب بعين الإنصاف و يغضّوا الطّرف عن نقائصه، و يصلحوا ما فيه من أخطاء، و يبذلوا جهودهم في إكماله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. و آمل أن يبلغوا به إلىٰ مرحلة الكمال، علماً أنّي ألّفته خدمةً لتاريخ إيران و المجتمع الشّيعيّ و لا أبتغي منه إلّا إيضاح أحد المباحث التّاريخيّة بلا تعصّب، و قد تناولته علىٰ قلّة علمي و معرفتي.

في ختام هذه المقدّمة أرىٰ الواجب الأخلاقيّ يحتمّ عليَّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل من أعماق قلبي للأصدقاء الكرام الّذين أعانوني علىٰ تأليف هذا الكتاب ماديّاً و معنويّاً، و بذلوا مساعيهم الحميدة في تحفيزي و حثّي و تشجيعي علىٰ إنجازه. و أخصّ منهم بالذكر فضيلة الأستاذ المعظّم الميرزا محمّد خان القزوينيّ الذي أفادني بتوجيهاته في سَفْرَتي إلىٰ فرنسا، و أتمّ إحسانه بوضع مكتبته تحت تصرّفي. و كلّ ما عندي و عند أمثالي في هذا الميدان فهو من بركات هدايته و علمه و فضائله.

و لا أنسىٰ العالم الكبير سماحة آغا ميرزا فضل الله شيخ الإسلام الزنجانيّ و أخاه العالم الفاضل الميرزا أبا عبدالله إذ لم يدّخرا وسعاً في تشجيعي و مساعدتي بكلّ إخلاص، بخاصّة شيخ الإسلام فمنّته عليَّ ثابتة لأنّ سماحته ـ مضافاً إلىٰ أمره باستنساخ نسخة من كتاب أنوار الملكوت علىٰ نفقته الخاصّة خدمة لهذا العمل ـ قد أتحفني بملاحظات ثمينة في رسائل بعثها إليّ، و ذكرتها في مواضعها باسمه. و أشعر هنا أنّي رهين تلطّفه و تفضّله.

و عليّ أن أشكر في هذه المقدّمة فضيلة الأستاذ الجليل ماسينيون؛ فقد كان تشجيعه إيّاي من المحفّزات الرئيسة لإتمام الكتاب.

www.ketab.ir

إنّ الذين يهتمّون بالكتب و المكتبات في طهران يعلمون أنّ أنفس كنز من هذا الضرب في مدينتنا قد جُمع بهمّة الحاج حسين ملك و جهوده الصّادقة ، إذ لم يدّخر وسعاً في هذا السبيل ، و قد أنفق ماله و عمره و عانىٰ كثيراً حتّى أعدّ خزانةً تضمّ الكتب العربيّة و الفارسيّة ، لا نظير لها في العالم من جهات عديدة . و بعمله هذا حافظ علىٰ سمعة إيران التي لولا خزانته لاحتاج أبناؤها أُولو الذوق و الفكر إلىٰ الدراسة في إحدىٰ العواصم الأجنبيّة . و قد استفدتُ كثيراً من مكتبته الثمينة ، و استمتعتُ بذلك الكنز النفيس. يضاف إلىٰ ذلك أنّه قد دعمني في طبع هذا الكتاب، إذ تفضّل عليّ بمقدار من نفقات الطبع . و أختم هذه المقدّمة بشكري الجزيل له و دعائي الله تعالىٰ أن يمنّ عليه بالتوفيق الدائم في مجال الخدمة التي اختارها .

طهران ـ ١٣٥٢ هـ .

عبّاس إقبال (آشتيانيّ)

www.ketab.ir

آل نوبخت

الأُسرة الفارسيّة المَحتِد ـ آل نوبخت ـ الذين نروم تجديد ذكراهم و إحياء مآثرهم في هذا الكتاب الموجز هي إحدى الأسر الفارسيّة الأصيلة الّتي أسلمت، و انتظمت في خدمة الحكّام العبّاسيّين و الأمراء المسلمين و خلّدت لها ذكراً طيّباً في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، عبر بثّ العلوم و الفلسفة و الآداب، و الاضطلاع ببعض الأعمال الديوانيّة.

و تدلّنا إشارات المؤرّخين و الشعراء و الأُدباء علىٰ أنّ أفراد هذه الأسرة الكبيرة كانوا في عاصمة الحكم العبّاسي بغداد ـ منذ منتصف القرن الثاني حتّى أوائل القرن الخامس الهجريّ ـ مراجع للأعمال الحكوميّة غالباً أو كانوا ممّن يُشار إليهم بالبنان في فرع من فروع العلم و الأدب. وكان فيهم ثلّة من العلماء العظام للإماميّة الاثني عشريّة. و منهم من عانىٰ في جمع أخبار و أشعار ثلاثة من شعراء العرب الكبار هم أبو نواس الحسن بن هانئ (١٤١-١٩٩هـ)، و أبو عبادة الوليد بن عُبَيد البُحتُريّ (٢٠٦-٢٨٣هـ)، و عليّ بن العبّاس بن الرومي (١١٢-٢٨٣هـ)، فخلّدوا ذكر هؤلاء الشعراء الثلاثة فكراً و ذوقاً.

وكان نوبخت الجَدّ الأعلىٰ لهذه الأسرة، و ابنه أبو سهل، و عدد من أولاد أبي سهل هذا من المترجمين الذين نقلوا بعض الكتب من اللغة الفارسيّة البهلويّة إلى العربيّة، و من المنجّمين في العهد الساسانيّ، و خدموا المسلمين بنشر هذا العلم في أوساطهم عبر تعريب بعض الكتب من لغة أجدادهم. و علّموا المسلمين العرب كثيراً من آداب الفرس و معلوماتهم في باب الزيج (الطالع أو رؤية الطالع) و أحكام النجوم و غيرها.

و اهتدى عدد من أحفاد أبي سهل بن نوبخت إلى المذهب الجعفريّ و أصبحوا من المدافعين عنه بجدّ، و لم يدّخروا وسعاً في توطيد أُسسه و قواعده و دحض آراء مناوئيه، و نشروا أُصول عقائد الإماميّة بين الناس من خلال تصنيف رسائل و كتب كثيرة، فينبغي عدّ هذه

www.ketab.ir

الثلّة من آل نوبخت ـ كما سيأتي شرحه ـ في طليعة متكلّمي الإماميّة، و شيوخهم الكبار في علم الكلام، ذلك أنّهم هم الذين تصدّوا للردّ علىٰ طعون المعتزلة و العامّة و سائر الفرق الإسلاميّة على الإماميّة بأدلّة كلاميّة متنوّعة سابقين بذلك طبقة المتكلّمين الكبار من الشيعة الاثني عشريّة، و دوّنوا المبادئ العلميّة الّتي لا بدّ للمتكلّمين الآخرين من أبناء هذه الفرقة أن يواكبوها، و ثبّتوها على قاعدة متينة.

وكان أبو سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت (٢٣٧-٣١١هـ) أحد وجهاء الشيعة الإماميّة و علمائها الكبار، و من المتكلّمين البارزين في هذه الطائفة، و له تصانيف مهمّة في تأييد المذهب الإماميّ، و يعدّ من أشهر آل نوبخت، بسبب منزلته العلميّة و مهامّه الدنيويّة. وكان ابن اخته أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ (المتوفّىٰ بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠هـ) مؤلّف كتاب فرق الشيعة وكتاب الآراء والديانات أوّل من صنّف في الملل و النحل. و لهذين الرجلين فضل كبير علىٰ الطائفة الإماميّة لاتّباعهما المعتزلة في بعض المسائل الأصوليّة، و تقريرهما مسألة الإمامة و تدوينها بأدلّة عقليّة وفقاً لعقائد الشيعة الإماميّة.

وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم النوبختيّ من المتكلّمين في أواسط القرن الرابع. و هو ـ فيما أعلم ـ أقدم عالم إماميّ صنّف كتاباً في علم الكلام يوافق عقائد هذه الطائفة. و هذا الكتاب المعروف بالياقوت في متناول أيدينا. و قد ذاع صيته بين متكلّمي الإماميّة، و أصبح من أشهر الكتب الكلاميّة للإماميّة، بسبب شروحه الّتي استهلّها عزّالدين أبو حامد عبدالحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦هـ) شارح نهج البلاغة، و تلاه العلّامة الحسن بن يوسف الحلّيّ (٦٤٨-٧٢٦هـ) و عنوان شرحه: أنوار الملكوت في شرح الياقوت، و أعقبه ابن اخته السيّد عميد الدين عبد المطّلب الحسينيّ الحلّيّ (٦٨١-٧٥٤هـ) في شرح كتاب أنوار الملكوت.

وكان عدد من آل نوبخت كتّاباً عند الحكّام العبّاسيّين و أمرائهم. و من هؤلاء: أبو يعقوب إسحاق بن أبي سهل إسماعيل (المتوفّىٰ سنة ٣٢٢هـ)، و نجله أبو الفضل يعقوب، و أبو طالب النوبختيّ، و أبو الحسين عليّ بن عبّاس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (٢٤٤-٣٢٤هـ) و ولده أبو عبد الله حسين (المتوفّىٰ سنة ٣٢٦هـ). و عرف منهم رجال كانوا من مشاهير علماء الأخبار عند الشيعة كأبي الحسن موسى بن كبرياء، و أبي محمّد حسن بن أبي عبدالله حسين (٣٢٠-٤٠٢هـ). وكان أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختيّ (المتوفّىٰ سنة ٣٢٦هـ) النائب الثالث للإمام المهديّ عليه السلام و أحد سفرائه المحمودين، علىٰ ما تعتقد به الشيعة الإماميّة.

و يمكننا علىٰ نحو عامّ أن نصنّف رجالات الأُسرة النوبختيّة في ستّ طبقات، هي:

www.ketab.ir

١ ـ طبقة المترجمين من اللغة الفارسيّة البهلويّة الى العربيّة، و المنجّمين، مثل نوبخت، و ولده أبي سهل، و عدد من ذراري أبي سهل كعبد الله، و أبي العبّاس فضل.

٢ ـ متكلّمو الإماميّة، كأبي إسحاق إبراهيم، و أبي سهل إسماعيل بن عليّ، و أبي محمّد الحسن بن موسى.

٣ ـ أصحاب الأئمّة الاثني عشر و خواصّهم، نحو يعقوب بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، و إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل، و أبي القاسم الحسين بن روح.

٤ ـ الأدباء و رواة الشعر، مثل إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، و بعض إخوته، و أبي طالب، و محمّد بن روح، و أبي الحسين عليّ، و أبي عبدالله حسين.

٥ ـ الكتّاب كالعلّمين الأخيرين المارّ ذكرهما في الأدباء و رواة الشعر، و أبي جعفر محمّد بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، و أبي يعقوب إسحاق، و أبي الفضل يعقوب، و عليّ بن أحمد بن عليّ.

٦ ـ علماء الأخبار الإماميّة، كأبي الحسن موسى بن كبرياء، و أبي محمّد حسن بن حسين، و غيرهما.

و سنرى في الفصول القادمة مفصّلاً أنّ أفراد كلّ طبقة من هذه الطبقات الستّ كانوا محطّ الأنظار و يلهج بذكرهم الخاصّ و العامّ، و عُدّت أقوالهم و كتاباتهم حجّة لمن جاء بعدهم من العلماء. فقيل في منجّميهم إنّهم أعلم الناس بالنجوم[1]، و قيل في المتكلّمين الذين هم على عقيدة الإماميّة إنّ أقوالهم يُستند إليها[2]، و ذكر في العلم بالمقالات و الآراء و الديانات أنّ كتاب أبي محمّد النوبختيّ من الكتب الموثوقة في هذا الفن[3]، و صاحبه قدوة تامّة في معرفة الملل و النحل[4]. و جاء في أخبار الشيعة الإماميّة و تقرير مذهبهم أنّ آل نوبخت كانوا من أركان هذا الدين إذ عُدّوا في مصافّ الشيخ المفيد، و ابن بابويه، و أبيه[5]. و كانوا من أهمّ المراجع و أوثقها في جمع أخبار و أشعار أبي نوّاس، و البحتريّ، و ابن الروميّ، و نبغوا في الترجمة حتّى أصبحوا في عداد المترجمين الكبار[6].

١ـ ديوان ابن الروميّ ١٢٢-١٢٣.
٢ـ بحارالأنوار ١٤: ٣٥٢-٣٥٥.
٣ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٥، مروج الذهب ٧: ١٥٧-١٥٨، تلبيس إبليس لابن الجوزيّ في مواضع متعدّدة.
٤ـ معجم الأدباء ٢: ٢٧٩.
٥ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٥٩٧.
٦ـ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ١: ٣٠٩.

www.ketab.ir

هذا كلّه حداني على إعداد ترجمة تضمّ أخبار هذه الأُسرة الجليلة ؛ فكنت أجمع المعلومات تدريجاً من خلال مطالعة كتب التاريخ و الأدب حتّىٰ إذا تمّ لي ما أريد ، نظمت هذا الكتاب في فصول مع بعض الملاحظات . و ها هو بين يدي القرّاء الكرام لعلّهم يقطفون من ثماره و يكون تذكاراً لهواة المعلومات التاريخيّة و المغرمين بعظمة السلالة الفارسيّة و مجدها .

www.ketab.ir